10

الحنّونه للثقافة الشعبية

تصدر عن جمعية الحنونة للثقافة الشعبية | السنة الرابعة



الناصرة
مدينة البشارة

رسوم المستشرقين..
تدوين الحياة الاجتماعية
في الوطن العربي بصريًا

قطف ثمار الزيتون
مواسمه وتقاليده

غرفة العروس..
الوسط التقليدي في الجنوب
التونسي نموذجاً

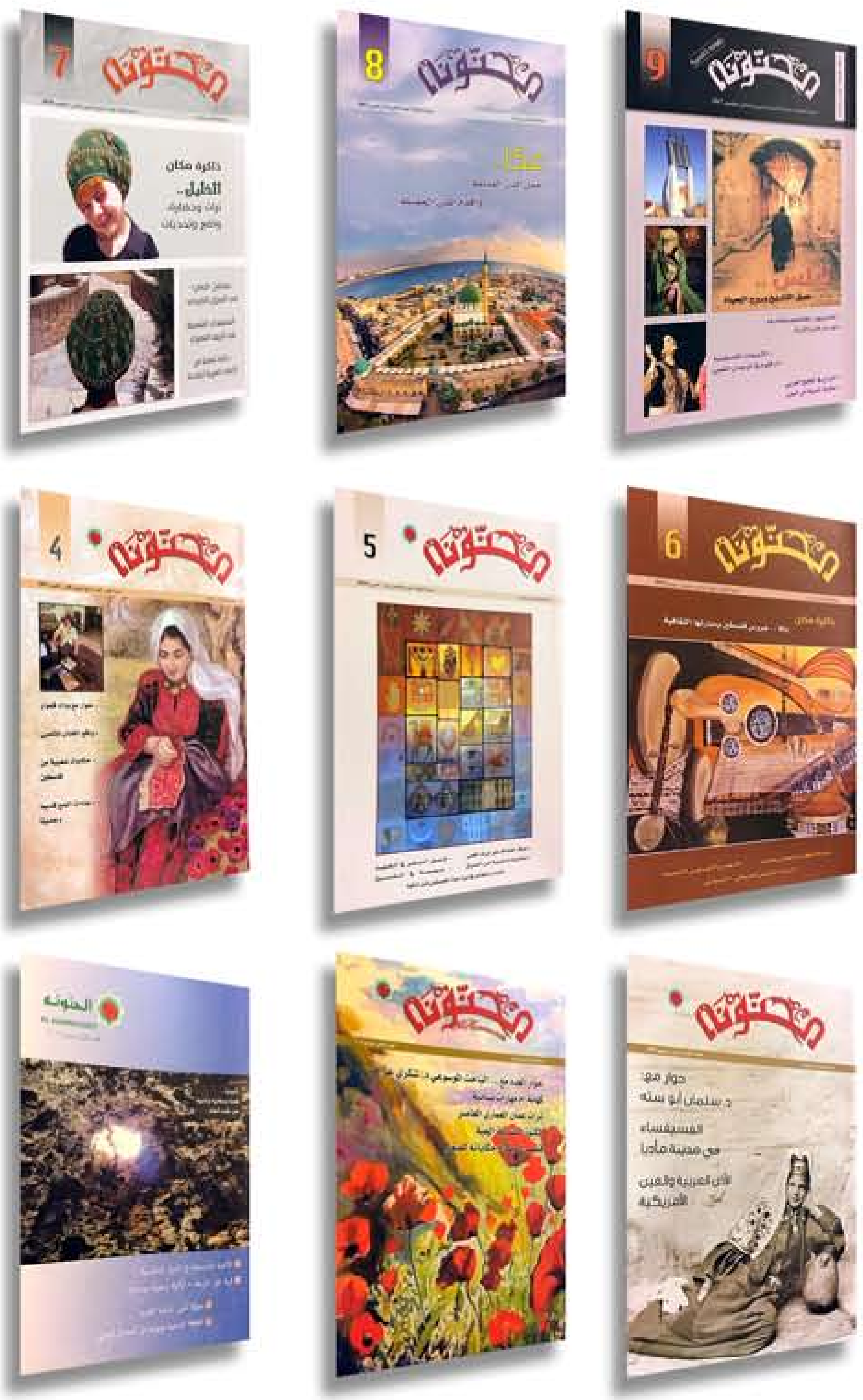
تصدر عن جمعية الحنونة للثقافة الشعبية | السنة الرابعة



ISSN 9 780261 795129

الحنونة للثقافة الشعبية

تنوع في إطار الوحدة



أنا من هذي المدينة

أنا من هذي المدينة من حواريها الحزينة
من شرايين بيوت الفقر من قلب الثنايات الحصينة
أنا من شارع يوم الأرض من دُوار أيار
ومن ساحات صبرا وشاتيلا والزُقاقات التي لا تجرؤ الشرطة
أن تدخلها عندما يشتعلُ الناسُ غضبْ
عبَقَ التاريخ والنخوة منها والكرامة واسمُها
شامة عزٍ وشهامة
هيَ أمي هيَ أبي مهْدي ولحْدي بيتي الدافئ
شمسي قمري
وطني الأصْغرْ وطني الأغلى وعُنوانُ التحدي
أنا من هذي المدينة ومن السوق القديم
من النبعة والكشّاف والخلّه وبئر الأمير
ناسُها أهلي وسُمّاري رفاقي في السلاح
أنفي منهم ومنهم كبريائي وهمومي وجرحي
ودوائي
أنا من هذي المدينة

توفيق زيّاد



موقع مدينة الناصرة على خريطة فلسطين التاريخية (مركز المعلومات الوطني الفلسطيني)

10

الحنونه للثقافة الشعبية ®

تصدر عن جمعية الحنونة للثقافة الشعبية | السنة الرابعة

أوّل القول

4 الأمثال الجاهلية قراءة أنثربولوجية في العادات والتقاليد العربية

10 رسوم المستشرقين.. تدوين الحياة الاجتماعية والثقافية في الوطن العربي بصريًا

ذاكرة مكان

- 16 الناصرة مدينة البشارة
- 18 معالم من الناصرة
- 22 البشارة وأثرها الثقافي والاجتماعي في مدينة الناصرة
- 26 الأشغال اليدوية النصراوية اقتصاديات الأسرة وزينتها
- 30 التحول الديموغرافي لسكان الناصرة
- 36 توفيق زيّاد.. الشعر إذ يحرس الوجدان

42 قلادة الخرز.. مفتاح الحياة والحظ والحظوة

46 قطف ثمار الزيتون.. مواسمه وتقاليده

50 خنفس خنفسان موروث حكائي عربي مشترك

56 فلسطين وأهلها في الاستشراق الروسي

60 هيهات يا بو الزلف

66 طقس العراضة لأعراس دكالة المغربية

74 الجنبية اليمنية.. السلاح الأبيض وسيلة للهيبة والزينة

80 الخلخال.. زينة وحرز

86 غرفة العروس.. في الجنوب التونسي

94 خبز التنور في التراث الشعبي في حماة السورية وريفها

102 بانوراما أنشطة الحنونة.. موسم حراس الذاكرة الثامن

جميع المراسلات باسم
رئيس التحرير المسؤول على العنوان الآتي:
البريد الإلكتروني:
hannouneh.mag@gmail.com
الأردن - عمّان - الشميساني، دوار المدينة الرياضية، شارع باب الأسود، مبنى رقم ٨
ص.ب ٣٩٠٠ عمّان ١١٩٥٣ الأردن
تلفاكس: ٩٦٢٦٥٠٥٢٨٢٩+
خلوي: ٩٦٢٧٩٥١٢٢٢٩+
موقع المجلة الإلكتروني:
www.alhannouneh.com

التصميم والإخراج الفني
HAND MADE
Paint | crafts | Design | Art

سعر النسخة ٢,٥٠ دينار أردني أو ما يعادله

قيمة الاشتراك السنوي لأربعة أعداد شاملاً خدمة التوصيل ١٦ دينارًا أو ما يعادلها

أوّل القــول

يسر مجلة الحنونة للثقافة الشعبية أن تطل على قرائها الأعزاء بعددها العاشر المتضمن أبحاثًا تناولت وجوهًا متنوعة من التراث الشعبي المادي وغير المادي من أرجاء الوطن العربي كافة. أما محور العدد وجوهرته فكانت مدينة الناصرة الفلسطينية، فعرَّفت غيرُ مقالة من مقالات العدد بتراثها، وبعادات أهلها، وبعلَم من أعلامها، هو الشاعر والسياسي توفيق زيَّاد.

وسيلحظ القارئ حين يطلع على هذا العدد أن هيئة التحرير حذت في إعداده وجمع مادته حذو الأعداد التسعة السابقة له، فهو يشبهها في بنائها وتنوع مادتها؛ فعلى الرغم من أن رائدة مشروع "مجلة الحنونة للثقافة الشعبية"، السيدة لميس البرغوثي، اختارت أن تنتقل من هذا المشروع الثقافي الذي بذلت في تأسيسه والنهضة به جهودًا كبيرة تستحق منا أشد عبارات الثناء إلى مشروع ثقافي جديد نرجو لها فيه التوفيق والنجاح، إلا أن هيئة التحرير الجديدة رأت من الحكمة أن تستلهم هذا النجاح، وأن تسعى إلى مواصلة المسيرة الموفقة لهذه المجلة التي بات لها خلال سنوات قليلة منزلة متميزة بين المجلات المشتغلة بالتراث الشعبي في الوطن العربي. فهيئة التحرير ترى في "مجلة الحنونة للتراث الشعبي" ذراعًا ثقافية فكرية لجمعية الحنونة للتراث الشعبي، فهما ترفدان معًا مشروعًا عروبيًا وطنيًا، يسعى إلى إحياء التراث الشعبي العربي، وتوثيقه، ودراسته، والتعريف به، بوصفه حاملاً رئيسًا من حوامل الهوية العربية عامة، والفلسطينية خاصة، في عالم ما انفك يذيب هويات المجتمعات المحلية، ليحِّل محلها هويات طارئة، مفروضة عليها من خارجها، بل وفي غير قليل من الأحوال، هويات استبعادية، ساعية إلى إلغاء هوية الآخر، ولكم في ما يجري بفلسطين خير مثال على ذلك.

ولم يكن هناك بد من أن ينشأ عن انتقال مهمة تحرير المجلة من الهيئة السابقة إلى هيئة التحرير الحالية تأخير في صدور العدد العاشر من المجلة، نعتذر عنه، مؤكدين أن المجلة ستعاود الصدور في المواعيد المقررة لها.

وتود هيئة التحرير أن تتخذ من صدور هذا العدد فرصة لدعوة الزملاء والزميلات المشتغلين بدراسة التراث الشعبي العربي وتوثيقه، إلى إثراء مضمون المجلة بدراساتهم ومقالاتهم، وذلك عن طريق مخاطبة رئيس التحرير المسؤول على العنوان المثبت على الغلاف الداخلي للمجلة. ونرجو، في الوقت نفسه، من قرائنا الكرام موافاتنا بأية ملاحظات أو اقتراحات يرون أنها يمكن أن تساهم في رفع سوية مجلتكم هذه، ولكم أجمل التحيات من هيئة التحرير ■

هيئة التحرير



زي شعبي من الناصرة

طقس العْرَاضة في دكالة المغربية..
التحضير لطقوس الزواج

ناسمي محمد*

تعددت البحوث والدراسات التي اتخذت من الزواج موضوعًا لها، والتي في غالبها ركزت على عاداته ومراحله وطقوسه، مثل: الخطوبة، عقد القران، جهاز العروس، ليلة الحناء، ليلة الدخلة... ، لكن قليلة هي التي خاضت في دراسة طقس العْرَاضة أو الدعوة لحفلات الزفاف، لكون هذا الطقس قد مرّ بعدد من التحولات والتغيرات، أو أنه انقرض في شكله التقليدي الأصيل وعوضته طرق حديثة في التواصل متأثرة في ذلك بالتطور التكنولوجي.



لقطة من منطقة دكالة
مطلع القرن الماضي

وتبحث هذه الدراسة في بعض جوانب طقس العْرَاضة بمنطقة مغربية هي دكالة، سالكًا في ذلك مقاربتين الأولى: عمودية من خلالها حاولت تتبع التطور والتحول الذي عرفه هذا الطقس ضمن عادات وتقاليد الزواج الدكالي.

الثانية: أفقية عبر عقد مقارنة جغرافية بين طقس العْرَاضة في دكالة ومناطق مغربية أخرى، ثم التوسع نحو مجالات أوسع بعالمنا العربي، للوقوف على المشترك والمختلف في التراث الشعبي العربي.

طقس العْرَاضة ورمزيته

يتمثل طقس العْرَاضة(١) أو الدعوة لحفل الزفاف بمنطقة دكالة المغربية في قيام امرأة مسنة تكون من نساء الدوار(٢) معروفة برشاقتها وقوة ذاكرتها وحسها اللطيف وتحظى بالقبول لدى جميع نساء الدوار، بالطواف على البيوت لدعوة النساء لحفل زفاف ينوي أحد ساكنة الدوار إقامته.

وعندما تقف العَرَّاضة أمام أي بيت من البيوت تبدأ بطرق الباب، وبعد خروج ربة البيت تبادر إلى إلقاء السلام عليها وتدعوها إلى العرس بالقول: «طلعوا عند (فلانة)عندها عرس بنتها (فلانة) نهار (السبت) مع ثلاثة ديال العشية»، وتجيبها ربة البيت المدعوة، بقول «الله يكمل بالخير» مع الدعاء لأهل العرس بالخير والبركة، وإعطاء العَرَّاضة «البياض» الذي يكون عبارة عن قطع من سكر القالب أو قطع من النقود المعدنية.(٣)

وتحضر في طقس العْرَاضة عدد من المكونات، منها: الزمان والمكان ولوازم العْرَاضة والمواقف، فالزمان، يبلغ درجة كبيرة من الصرامة والأهمية في عمل العَرَّاضة، وهكذا فأي تقصير أو تأخير في الدعوات من شأنه أن يحط من صورة أصحاب العرس أمام نساء الدوار، أو أن يسبب في خصومات وحزازات، ولهذا على العَرَّاضة أن تبدأ بالطواف وإخبار الدعوات على الأقل بيومين قبل إقامة حفل الزفاف، حتى تتمكن النساء المدعوات من تحضير أنفسهن للحفل، كما أن المكان لا يقل شأنًا من الزمان، ولإبراز قيمة النساء المدعوات والرفع من مكانتهن، على العَرَّاضة أن تأتي حتى بيوتهن لدعوتهن، فالزمان والمكان في طقس العَرَّاضة «يخلق الثقة والاطمئنان في مجتمع لا يخلو من مخاطر تدعو إلى الحيطة والحذر».(٤)

وقبل بدأ العَرَّاضة طوافها في القرية ترتدي ملابس تقليدية أنيقة وتتزين للحدث، وتحمل معها قصبة يتم ربط مقدمتها بباقة من نبات النعناع الأخضر مع مزهرية صغيرة للورود البلاستيكية، إضافة إلى قفة بها قالب من السكر، ويظهر أن اللوازم التي تستعين بها العَرَّاضة في طوافها تتشابه مع لوازم طقس آخر ينتمي للطقوس الزراعية في شمال إفريقيا، هو طقس تاغنجا أو طقس الاستسقاء(٥)، والمشترك بينهما هو الخصوبة والإحياء، فدمية تاغنجا تعوضها هنا القصبة المزينة وقالب السكر، وإذا كان رش الماء يهدف إلى إخصاب الدمية والأرض معًا في طقس تاغنجا، فإن كرم ربات البيوت بإعطاء «البياض» إلى العَرَّاضة كما رأينا سابقًا يمكن اعتباره، هو الآخر الهدف منه الإخصاب والإكثار من الخير للزوجين وإحلال البركة عليهم.

من العَرَّاض إلى العَرَّاضة

عرف طقس العَرَّاضة عدة تحولات ومنها الانتقال إلى المرحلة النسائية وتخصص المرأة بهذا الطقس، وذلك لكون «المرأة هي الأكثر تمسكًا بعادات الزواج وتقاليده»(٦)، فهي حاضرة في جميع طقوسه ومراحله بمنطقة دكالة، فنجد إلى جانب العَرَّاضة هناك النَّقَّاشة في طقس الحناء، والبَرَّاحة في طقس الغرامة(٧).

لكن فيما قبل مرّ طقس العْرَاضة بالمرحلة الذكورية/ الرجولية حيث كان الرجل أي «العَرَّاض» هو من يقوم بالطواف على البيوت لدعوة ساكنة الدوار لحضور حفل زفاف أحد أهالي الدوار.

وهذا التحول والانتقال من العَرَّاض إلى العَرَّاضة واكبته عدة تحولات في طقس العَرَّاضة ومكوناته، فإذا كانت العَرَّاضة تبدأ الدعوة قبل حفل الزفاف بيومين على الأقل، فإن العَرَّاض كان يقوم بالدعوة صباح يوم إقامة حفل الزفاف، لأن عادة «العْلام» التي تشهر للزفاف كانت تعلن قبل مدة طويلة داخل الدوار، حيث كان يتم أخذ قصبة وربطها بلواء أبيض وفي رأسها يتم ربط باقة من النعناع والريحان، وتعليقها في أعلى بيت أصحاب العرس،(٨) ومعه تكون ساكنة الدوار على علم واستعداد لحفل الزفاف.

وقبل طواف العَرَّاض كانت أم العروس أو صاحبة العرس تقوم بتجهيزه بلباسها التقليدي الخاص بالمناسبات والأفراح، الذي يتكون من «قفطان» فوقه «دفينة» و«عمامة» على الرأس، أما الحذاء فكان عبارة عن «شربيل من الصم»، في حين تتكون حلي الزينة من الفضة مثل «الشقة» و«التخليلة» التي يرصع بها صدره، بعدها يتم تجهيز فرس للعَرَّاض مثل التجهيز الخاص بالفارس.

وكان العَرَّاض يطوف ويخبر الدعوات بين أهل الدوار، مجسدًا ثنائية المذكر والمؤنث، أو عريس عروسة، فاللباس الأنثوي التقليدي يظهر الجمال والرقة، على صهوة فرس بما تمثل من شجاعة وبطولة ورجولة يتصف بها الفرسان، في مشهد يمكن اعتباره حمل عريس لعروسه يوم حفل زفافهم، وهو بذلك يرمز للخصب والخير والاستمرارية.

وكان العَرَّاض يقوم بعد تجهيزه بالطواف على بيوتات أهل الدوار بيتًا بيتًا، ودعوتهم بعبارة لا تخلو من المزاح والتسلية بقوله: «طلعوا عند دار فلانة أنتم ووليداتكم وبهيماتكم وكليباتكم ومشيشاتكم، الصباح العيالات وفي الليل الرجال»، وبعد نهاية طوافه في الدوار وإخبار جميع المدعوين يعود إلى بيت صاحبة العرس، ويستقبل بالزغاريد استقبال المنتصرين، ينزل من فرسه ويطلب منه أن يرقص مع النساء بلباسه رقصًا نسائيًا مع الأهازيج والأغاني الشعبية الخاصة بالأعراس، وفي النهاية تشكره صاحبة

العرس لمهمته وتمنحه «البياض» الذي يكون في الغالب عبارة عن قالبين من السكر.
ويظهر أن العَرَّاض في جميع مراحله كان يخلق التسلية والفرجة لأهل الدوار وأصحاب العرس، مما يمكن اعتباره شكلًا من أشكال المسرح الشعبي المحلي الخاص بمنطقة دكالة المغربية.

جغرافية طقس العْرَاضة

وفي هذه الدراسة حاولت البحث عن امتدادات لهذا الطقس في مناطق مغربية أخرى، وكذا في الوطن العربي، لرصد أوجه الشبه والاختلاف لهذا الطقس، وإبراز تنوعه الجغرافي والثقافي، والكشف عن علاقاتها ببيئتها المحلية التي أنتجتها، وكيف تؤثر الحدود الطبيعية والجغرافية في طقس يدخل ضمن عادات الزواج وتقاليده في الجدول (١).

جدول رقم (١)

المدينة المغربية	الاسم	الشخص المكلف	التوقيت	العادات المرتبطة بطقس العَرَّاضة
تطوان	العَرَّاطة بنطق حرف (طاء) عوض حرف (ضاد)	امرأتان تساعدان في تدبير شؤون البيت	يبدأ هذا الطقس خلال يوم تهيئ الحلويات لحفل الزفاف	تخرج العَرَّاطتان بكامل زينتهن وبكسوة جديدة يلتزم المحتفلون بشرائها، تقومان بدعوة نسوة الحي شفهيًا، في حالة عدم وجود أحدى النسوة، يتم ربط خيط أبيض في مدق باب المنزل.(٩)
شفشاون	العَرَّاضة	امرأة تمتهن مهنة العَرَّاضة خبيرة بمجريات الحي وسكانه.	تبدأ الدعوة بأسبوع أو أقل ويكون الوقت المناسب عادة بعد العصر.	«تقوم العَرَّاضة وهي تجوب الأحياء والأزقة بدق أبواب بيوت الأسر المستدعية... مخاطبة إياها بعد إلقاء التحية بأسلوب مهذب قائلة: (إن الأسرة الفلانية تستدعيكم للحضور إلى حفل العرس يوم كذا على الساعة كذا)، ويرد عليها أهل البيت بالدعاء بأن يجعل الله البركة ويكمل بالخير على أهله.. وبعد إتمام مراسيم العَرْضَة تقدم لها العائلة المعنية بالفرح أجرتها نقدًا أو قطعة من القماش مقابل عملها»(١٠)
وجدة	العراضات	تكلف قريبتان من عائلة العروس بطقس العَرَّاضة ودعوة نساء الحي.	بعد العصر.	تخضب أيادي العراضتين بالحناء وتلتحفان الحائك، وهو ما يؤشر على أنهما عراضات، بعد إلقاء التحية تدعوان نساء الحي، بعدها تقدم لهما كل مدعوة كأسين من الحليب في باب المنزل.
مراكش	العراضات	يكون عبارة عن موكب احتفالي تكون فيه العراضة مع مجموعة من النساء يرددن أغاني وأهازيج شعبية تخص هذا الطقس	يقام طقس العراضة في الصباح الباكر لتجنب حرارة الشمس التي تميز مدينة مراكش	يقام طقس العْرَاضة بمراكش في الصباح الباكر حيث يسبقه تقديم طبق (هربل) الذي تحرص جدات العروسين على إعداده، يقدم كوجبة إفطار للعَرَّاضات، بعد الفراغ من الأكل تذكر الجدات بالحرص على دعوة جميع نساء الحي، تخرج العَرَّاضة من بيت العروس مع موكب نسائي يردد الأهازيج الشعبية، وتقوم جدة العروس بمباركة لهم هذا الطقس بحملها للمغرفة التي أعدت بها طبق (هربل) والدعاء لهم بالبركة. تطرق العَرَّاضة باب المدعوات وتدعو كل واحدة منهن شفهيًا، تقدم لها المدعوات (البياض)، وهو قدر من المال يستغل في إعداد الحلويات اللازمة لحفل الزفاف.(١١)

تابع جدول رقم (١)

المدينة المغربية	الاسم	الشخص المكلف	التوقيت	العادات المرتبطة بطقس العَرَّاضة
الصويرة	عَرَّاضتان	تقوم به امرأتان	يبدأ طقس العَرَّاضة بعد الانتهاء من إعداد حلويات الاحتفال بحفل الزفاف	يبدأ طقس العَرَّاضة بإقامة وليمة للعَرّاضتين عبارة عن أكلة السفة المردومة (نوع من الكسكس)، وبعد الفراغ من الأكل تخضب العَرَّاضتان والحاضرات أيديهن بالحناء للفأل الحسن. تخرج العَرَّاضتان في موكب نسائي يردد أهازيج شعبية خاصة بطقس العراضة يجوب الحي، تبدأ العَرَّاضتان بطرق باب المدعوات، وبعد إلقاء السلام عليهن تدعوهن بقول: (مرحبا بيك الخميس، را لالة "فلانة" تتعرض عليك لعرس بنتها "فلانة" وقوليها للالة "فلانة" والوالدة ديالك، تطلق المدعوات زغاريد في حضرة العَرّاضتين مع إعطاء البياض وهو عبارة عن قدر من المال.١٢

يلاحظ أن هناك تعددًا وتنوعًا في مراسيم وعادات هذا الطقس وتقاليده في المناطق المغربية، لكن هذا لم يمنع من وجود بعض القواسم المشتركة التي تجمعها مع العَرَّاضة في منطقة دكالة، أهمها أن التي تقوم بمهمة الدعوة في الغالب المرأة، لأن المدعوات هن من نساء الحي أو الدوار، كما أن حفل الزفاف يكون في جل مراحله نسائيًا بالدرجة الأولى.
وفي جميع المناطق المغربية فإن العَرَّاضة قبل أن تتولى أمر الدعوات ينبغي لها أن تبدي كامل زينتها وأناقتها، حيث يتكفل أصحاب العرس بشراء ملابس تقليدية جديدة لها أو ينتخب ويختار لها أجمل ما في الملابس، كما يتم تخضيب أيديها بالحناء وتضع الكحل في عينيها، وهذا كله يعتبر جزءًا من المشهد الاحتفالي لطقس الزفاف، وللفأل الحسن على أصحاب العرس، وبشارة للمدعوات من نساء الحي أو الدوار.
وبعد تقديم الدعوات من العَرّاضتين لربات البيوت لحضور حفل الزفاف وحتى تكتمل عناصر المشهد الاحتفالي وتعم الفرحة، تقدم ربات البيوت للعَرّاضتين «البياض»، والذي يكون في الغالب قطعًا نقدية أو قطعًا من السكر، كما أن أصحاب العرس يكرمون العَرّاضتين بعد الفراغ من مهمتهن بإعطائهن هدية أو مبلغًا ماليًا جزاء عملهن.
وينبغي أن تقوم العَرَّاضتان بالطواف على نساء الحي أو الدوار لدعوتهن قبل حفل الزفاف بنحو أسبوع حتى يتسنى لهن تحضير أنفسهن للعرس، فالتركيز على التوقيت ضروري لدى العَرّاضتين لأنه يمكن أن يتسبب في وقوع خصام بين النساء المدعوات وأهل العرس، فمن غير المقبول إبلاغ الدعوة يوم إقامة حفل الزفاف لأنه يعتبر بمثابة دعوة كاذبة، وهو ما عبر عنه المثل الشعبي المغربي «المعروض في نهارو إبقى في دارو».
وإذا كانت المناطق والمدن المغربية تتميز بالتعدد والتنوع في طقس العراضة، فإن منطقتنا العربية هي الأخرى لم تشذ عن ذلك حيث تعرف تنوعًا في هذا الطقس وهو مدفوع بذلك بتنوع البيئات الجغرافية والاجتماعية والثقافية، والذي يجعلنا نقف أمام معطى هو أننا أمام جغرافية للتراث الشعبي العربي، ونتأمل ذلك من خلال جدول رقم (٢):



تعاليل

جدول رقم (٢)

القطر أو المنطقة العربية	الاسم	الشخص المكلف	التوقيت	العادات المرتبطة بطقس العَرّاضة
منطقة أوزلافن (الجزائر)	-	أبو العريس أو أخوه الأكبر.	نحو ٣ أسابيع قبل إقامة حفل العرس	تكون الدعوة بالاتصال المباشر بالمدعوين «لحثهم على ضرورة حضور الحفل، وفي حالة ما إذا كان هناك خلاف أو عداوة قديمة مع أحد المدعوين أو عائلته، فإن صاحب العرس يبذل قصارى جهده لإذابة الجليد والقفز على سنوات الجفاء لاقتناع المترددين بالحضور حتى تكتمل الفرحة وتزول الأحقاد، وإذا لم يستطع الوصول إلى كل المدعوين يغتنم فرصة السوق الأسبوعي ويكلف رجلًا يعرفه بدعوة الأقارب القاطنين خارج المنطقة أو القرية»[١٣]
الجنوب الشرقي التونسي	الحضارة	فتيات الحي	قبل يوم أو يومين من حفل الزفاف	«اشتهرت في السبعينات والثمانينات ظاهرة الحضارة التي تخرج من بيت أصحاب العرس قبل الاحتفال بيوم فتيات "الحومة" ترافقهن شابات من المتزوجات وهن في أفخر الثياب والزينة يطفن على البيوت بيتًا بيتًا ويدعون النساء إلى العرس».[١٤]
النوبة (مصر)	-	امرأة مسنة أو أم العريس	قبل أسبوع من عقد القران	«تخرج المرأة المسنة قبل أسبوع من عقد القران تحمل طبقًا من الخوص في داخله إناء خشبي توضع فيه الروائح العطرية من محلب وقرنفل، تطوف القرية تتغنى بأمجاد عائلة كل من العريس والعروس، ويكون ذلك بمثابة دعوة لكل نساء القرية ليذهبن لمشاركة أهل العروس استعدادًا للفرح، ويعتبر ذلك إعلانًا شرعيًا للزواج»[١٥]
رام الله (فلسطين)	-	والد العريس	موسم قطف الزيتون	كان والد العريس يوجه الدعوة بهذه الطريقة «إذا كان هناك مواسم زراعية، قطف الزيتون، فإن مناديًا يقف مساءً على أعلى بيت في القرية وينادي: يا سامعين الصوت صلوا على محمد بكرا ممنوع واحد يسرح لأنه في خطبة لفلان ويكرر هذا النداء أربع مرات في أربع جهات»[١٦]
بيروت (لبنان)	-	صاحب العرس	-	«كانت العادة في عقد القران أن يتوجه صاحب الدعوة بنفسه لدعوة الأقارب والأصحاب، ليعبر عن مدى احترامه وتقديره للمدعوين ومدى التزامه بالأصول»[١٧]
سوريا	-	-	-	كانت «الدعوة إلى الأعراس عامة، يحق لكل شخص من ذكر أو أنثى حضورها، إلا أن العادة تدعى بعض الشخصيات ذات القرابة والمكانة، وتوجه الدعوات إلى القرى بإرسال خبر»[١٨]
الأردن		العريس أو إخوته		«يقوم العريس أو إخوته بالطواف على أقاربه وعلى دواوين العشائر من أهل البلدة موجهًا الدعوة لحضور فرحهم وحسب الموعد المقرر يتوجهون إلى بيت والد العروس تتبعهم النساء بالغناء والزغاريد مصطحبين معهم الذبيحة وكل ما يلزم لإعداد طعام الغذاء»[١٩]

تابع جدول رقم (٢)

القطر أو المنطقة العربية	الاسم	الشخص المكلف	التوقيت	العادات المرتبطة بطقس العَرّاضة
البحرين	العَزّامة	الداية	قبل أسبوع من الزواج تقريبًا	«تدخل العَزّامة كل بيوتات القرية، وهي تردد الإيقونة ذاتها؛ (تقول إليكم أم فلان تعالو باركوا إليها)، وقد توضح أكثر عندما تقول لهن باللهجة الدارجة: (أم فلان عازمتكم عشان اتجون اتباركون إليها بتعرس بتها "إبنتها" أو ولدها... فيرددون عليها: الله يغنيهم ويبارك إليهم».[٢٠]
اليمن	يسمى طقس الدعوة لحفل الزفاف بـ(الطلب).	أسرة العروس	بعد الخطوبة وقراءة الفاتحة تبدأ الدعوة لحفل الزفاف	من العادات المرتبطة بهذا الطقس بالنسبة للمدعوين "إذا لم يحضروا [الدعوة] فعليهم الاعتذار، وإن لم يعتذروا "فيحقهم" أهل الدعوة ويجلسون جلسة عرب عند شيخ القرية، كما يحكم بينهم بطلب رأس غنم أو أي شيء آخر"[٢١].

يشي هذا التنوع والتعدد في العادات المرتبطة به، بثراء وغنى الثقافة الشعبية العربية، لكن هذا لا ينفي وجود قدر كبير من أوجه التشابه والعناصر المشتركة لهذا الطقس بين المناطق العربية التي عرضناها في الجدول أعلاه، وهو ما يجعلنا نستنتج وجود تداخل في الثقافات الشعبية العربية، وعليه ثمة ضرورة لوضع أطلس عربي ليس لهذا الطقس فقط وإنما للتراث الشعبي العربي عامة لما له من أهمية في عقد مقارنات واستخلاص دور المجال في التأثير على عناصر الشعبي العربي.

طقس العَرّاضة وتحولاته

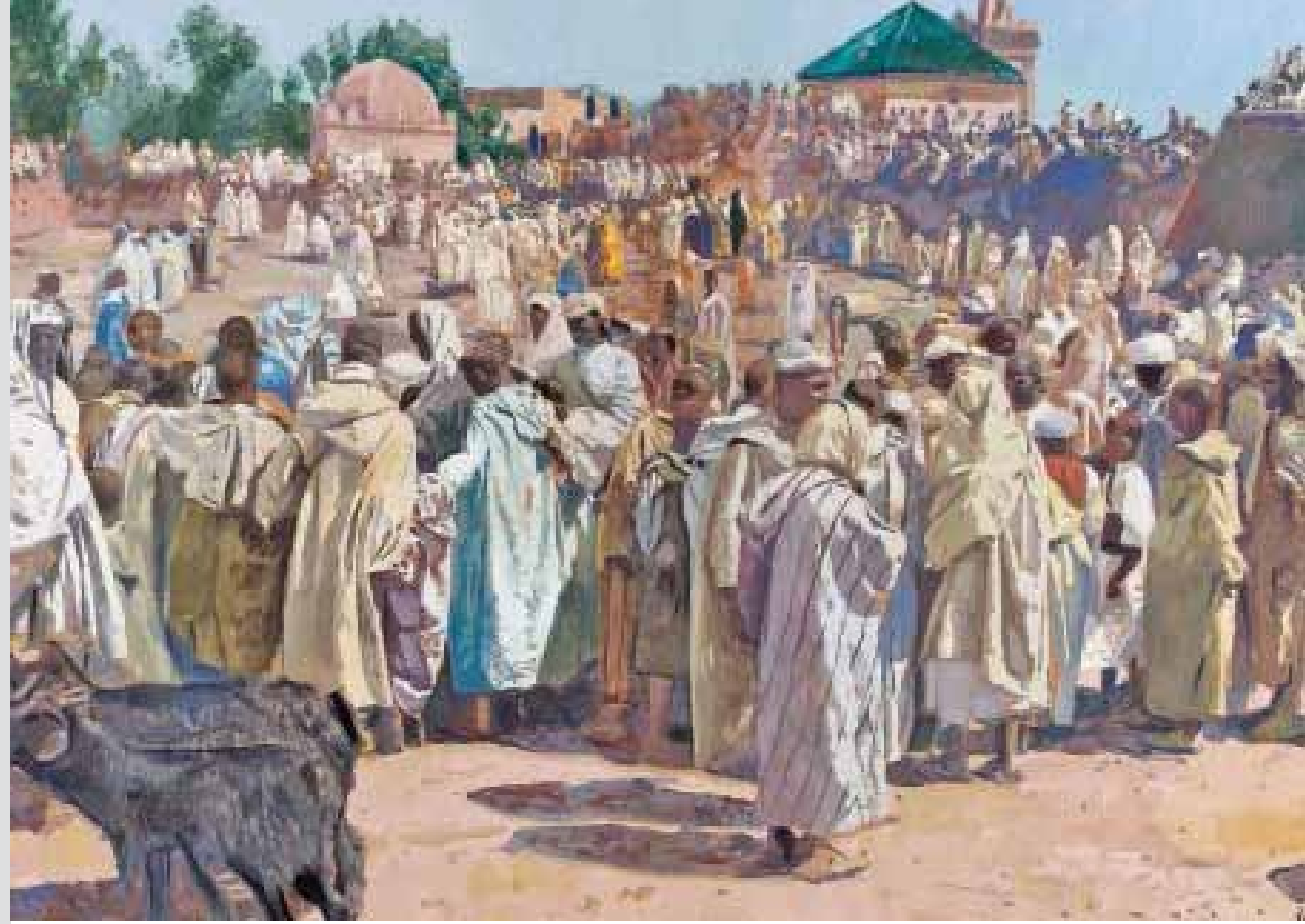
عرف طقس العَرّاضة عبر التاريخ بمنطقة دكالة عدة تحولات من أبرزها، انقراض العَرّاض بطقوسه في الدعوة للأعراس وتعويضه بالعَرّاضة، التي هي الأخرى يلاحظ أنها بدأت تتراجع وتنحسر في دواوير محدودة، وهو مؤشر على أنها هي الأخرى في طريقها للزوال والاندثار، وبالتالي فقد بدأ الانتقال من الطرق التقليدية في الدعوة للأعراس إلى طرق وأشكال أخرى، منها:

الاتصال المباشر بالمدعوين ودعوتهم شفويًا، عبر قيام صاحب العرس بإعداد كشف لأسماء المدعوين وإعطائه لأحد أبنائه أو أحد أقاربه ليقوم بمهمة الدعوة لحفل الزفاف، أو قيام صاحب العرس بنفسه دعوة المدعوين لحثهم على ضرورة الحضور ومشاركته فرحة زواج ابنه أو ابنته، وكذلك اغتنام فرصة انعقاد يوم السوق الأسبوعي لدعوة المدعوين القاطنين خارج الدوار.

ونظرًا للتطور الذي تعرفه وسائل الاتصال وظهور الهاتف النقال وانتشاره الواسع بين الناس، فقد غدت الدعوات توجه من خلال المكالمات الهاتفية دون عناء الاتصال المباشر بالمدعوين والانتقال إلى مساكنهم.

إن هذا التحول الذي عرفه طقس العَرّاضة بمنطقة دكالة، كان له دور كبير في المس بمنظومة القيم ومعها العلاقات الإنسانية، والتي من أهم مظاهرها ضعف الروابط الأسرية والقبلية والتواصل داخل القبيلة والأسرة الممتدة، فإذا كان مع العَرّاض ومن بعده العَرّاضة الحرص على دعوة جميع أفراد الأسرة وجميع أهل الدوار، اليوم بدأ الانتقاء في الدعوة لحفلات الزفاف، مما يوضح تراجعًا ونكوصًا في قيم التعاون والتضامن، والكرم والجود، بين أفراد الأسرة والقبيلة ومعه ضعف في العلاقات والروابط الأسرية والقبلية.





> عرف طقس العرّاضة عبر التاريخ بمنطقة دكالة عدة تحولات من أبرزها، انقراض العَرَّاض بطقوسه في الدعوة للأعراس وتعويضه بالعرَّاضة، التي هي الأخرى يلاحظ أنها بدأت تتراجع وتنحسر في دواوير محدودة، وهو مؤشر على أنها هي الأخرى في طريقها للزوال والاندثار

كما أن مجموعة من العادات والتقاليد والرموز التي ارتبطت بالعَرَّاض والعَرَّاضة، تلاشت وبدأت تختفي وهو ما يدل على أن طقس العَرَاضة، شأنه شأن جميع عناصر التراث الشعبي الأخرى عبارة عن نظام تراثي حي ومتفاعل، وبالهشاشة التي تجعله معرضًا دائمًا لخطر الزوال والضياع.

خاتمة

يتضح مما سبق أن طقس العْرَاضة مثله مثل جميع عناصر التراث الشعبي الأخرى، هو في تطور مستمر عبر الزمان، ويعرف تعددًا وتنوعًا في المجال، فنحن لسنا أمام طقس واحد في الدعوة لحفلات الزفاف، وإنما أمام طقوس متنوعة، وهذا ما يدفعنا إلى التفكير في إيجاد علاقات بين التراث الشعبي والتاريخ من جهة والتراث الشعبي والجغرافيا، وفي إيجاد علاقات مع العلوم الطبيعة خاصة علم البيئة، فكما أن علم الاجتماع، استفاد من علوم الفيزياء والبيولوجيا في كثير من مراحله، فقد حان الوقت لعلم الفولكلور أن يستفيد هو الآخر من علوم مثل علم البيئة، خاصة لدراسة التنوع، والتطور، والتفاعل في التراث الشعبي، وهو ما سيتيح لعالم الفولكلور آليات جديدة ليس فقط للدراسة وإنما أيضًا من أجل حماية التراث الشعبي في طابعه الحي ■

(*)باحث في التراث الشعبي/ المغرب.

الهوامش:

- يجب التمييز هنا بين العَرَّاضَة بفتح حرف (العين) وتشديد حرف (الراء) وهي المرأة المكلفة بالدعوة لحفل الزفاف، وبين العْرَاضَة بتسكين حرف (العين) والمقصود بها هنا الدعوة لحفل الزفاف.

٢ - الدْوار في المغرب يقصد به القرية.

٣ - مقابلة ميدانية: العَرَّاضَة الكبيرة بوريكا، السن ٦١ سنة، دوار المناقرة حدادة، خميس الزمامرة، دكالة، يوم: ٢٠١٥/٠٣/٠٦.

٤ - عبد الأحد السبتي وعبد الرحمان لخصاصي، من الشاي إلى الأتاي، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٩، ص ٤٤.

٥ - أنظر محمد أسوس، طقوس الاستمطار الأمازيغية (البربرية) وأساطيرها بشمال إفريقيا، مجلة الثقافة الشعبية، ع ١٤، ٢٠١١.

٦ - إيمان صالح محمد حسن، عادات الزواج وتقاليده في الواحات الغربية، ط١، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٤١.

٧ ـ الغرامة يقابلها في الأعراس المشرقية النقوط.

٨- مقابلة ميدانية: امباركة المسلمي، السن ٦٤ سنة، دوار الدحامنة الغنادرة، خميس الزمامرة، دكالة، يوم: ٢٠١٥/٠٣/٢٥.

٩ ـ القناة الأولى المغربية، برنامج الهودج، عرس تطوان، ٢٠١٣.

١٠ - محمد القاضي، حرف وعادت أهل شفشاون المنقرضة أو المهددة بالانقراض، مجلة الثقافة الشعبية، ع ١٥، المنامة البحرين، ص ١١٨.

١١ ـ القناة الأولى المغربية، برنامج الهودج، عرس مراكش، ٢٠١٣.

١٢ ـ القناة الأولى المغربية، برنامج الهودج، عرس الصويرة، ٢٠١٣.

١٣ - عديلة عجير ونسيمة باشا، طقوس الزواج وتقاليده منطقة أوزلافن أنموذجا (دراسة أنتروبولوجية)، بحث لنيل الماستر، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، الموسم الجامعي ٢٠١٣\٢٠١٤، ص ٦٥.

١٤ - عبد الله جنوف، الاحتفالات الشعبية في الجنوب الشرقي التونسي، مجلة الثقافة الشعبية، ع ٢٤، شتاء ٢٠١٤، ص ٢٤.

١٥ - أحمد محمد عبد الرحيم، احتفالية الزواج عند النوبيين، مجلة الثقافة الشعبية، ع ٥، ربيع، ٢٠٠٩، ص ٣٢.

١٦ - نضال فخري طه، الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله، رسالة استكمال درجة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية نابلس، ٢٠٠٩، ص ٢٠٢.

١٧ - حنان قرقوتي، العادات والتقاليد في بيروت، مجلة الثقافة الشعبية، ع ٢٧، خريف ٢٠١٤، ص ٧٠.

١٨ - وزارة الثقافة والإرشاد القومي للإقليم السوري، تقاليد الزواج في الإقليم السوري، بإشراف دائرة الفنون الشعبية، ١٩٦١، ص ١٥٨.

١٩ - عبد الله عساف، الثابت والمتحول في مناسبات الأعراس الأردنية وطقوسها، مجلة الفنون الشعبية، وزارة الثقافة الأردنية، الأردن، ع ١٨، ٢٠١٥، ص ١١٢.

٢٠ - أمينة الفردان، الأنثى والموروث الثقافي القروي في البحرين، الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، المنامة، ٢٠١٦، ص ٩٦.

٢١ - سند طنطاوي عبد السلام، من حفلات العرس في اليمن، مجلة الفنون الشعبية، القاهرة، ع ٢٧-٢٨، ص ٥٣.

المراجع المعتمدة في الدراسة:

- أمينة الفردان، الأنثى والموروث الثقافي القروي في البحرين، الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، المنامة، ٢٠١٦.
- إيمان صالح محمد حسن، عادات الزواج وتقاليده في الواحات الغربية، ط١، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.
ـ جاد مصطفى، مكنز الفولكلور، المجلد الأول القسم المصنف، ط١، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ٢٠٠٦.
- عبد الأحد السبتي وعبد الرحمان لخصاصي، من الشاي إلى الأتاي، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٩.
- وزارة الثقافة والإرشاد القومي للإقليم السوري، تقاليد الزواج في الإقليم السوري، بإشراف دائرة الفنون الشعبية، ١٩٦١.

المجلات والدوريات:
- أحمد محمد عبد الرحيم، احتفالية الزواج عند النوبيين، مجلة الثقافة الشعبية، ع ٥، ربيع، ٢٠٠٩.
- جنوف عبد الله، الاحتفالات الشعبية في الجنوب الشرقي التونسي، مجلة الثقافة الشعبية، ع ٢٤، شتاء ٢٠١٤.
- سند طنطاوي عبد السلام، من حفلات العرس في اليمن، مجلة الفنون الشعبية، القاهرة، ع ٢٧-٢٨.
- عساف عبد الله، الثابت والمتحول في مناسبات الأعراس الأردنية وطقوسها، مجلة الفنون الشعبية، وزارة الثقافة الأردنية، الأردن، ع ١٨، ٢٠١٥.
- قرقوتي حنان، العادات والتقاليد في بيروت، مجلة الثقافة الشعبية، ع ٢٧، خريف ٢٠١٤.
- القاضي محمد، حرف وعادت أهل شفشاون المنقرضة أو المهددة بالانقراض، مجلة الثقافة الشعبية، ع ١٥، المنامة البحرين.

البحوث الجامعية:
- عديلة عجير ونسيمة باشا، طقوس الزواج وتقاليده منطقة أوزلافن أنموذجا (دراسة أنتروبولوجية)، بحث لنيل الماستر، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، الموسم الجامعي ٢٠١٣\٢٠١٤.
- نضال فخري طه، الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله، رسالة استكمال درجة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية نابلس، ٢٠٠٩.

المقابلات الميدانية:
- مقابلة ميدانية: العَرَّاضَة الكبيرة بوريكا، السن ٦١ سنة، دوار المناقرة حدادة، خميس الزمامرة، دكالة، يوم: ٢٠١٥/٠٣/٠٦.
ـ مقابلة ميدانية: امباركة المسلمي، السن ٦٤ سنة، دوار الدحامنة الغنادرة، خميس الزمامرة، دكالة، يوم: ٢٠١٥/٠٣/٢٥.

البرامج التلفزيونية:
ـ القناة الأولى المغربية، برنامج الهودج، ٢٠١٣.